



محاولات اغتيال النبي ، وفتنة المسلمين بالمنافقين ! (4 - 5)

بقلم: رائف محمد الويشي

يوليو 2014 25

تحدثنا في الحلقة الأولى عن إحدى عشر محاولة اغتيال تعرض لها النبي (ص) في حياته منذ أن كان طفلا ومرورا بمرحلة النبوة وحتى موقعة حنين في عام 8 هـ ..

في الحلقة الثانية تحدثنا عن المحاولة الثانية عشرة من محاولات الاغتيال ، ولاحظنا أن أغلب وثائقها كانت ضحية من ضحايا المذبحة التي تعرض لها الحديث النبوي علي أيدي السلطة الحاكمة ، ورغم ذلك بقيت بقايا هناك وهناك في المصادر السننية تشير للمبصرين والباحثين إلى ما حدث ..

في الحلقة الثالثة تحدثنا عن المحاولة الثانية عشرة من محاولات اغتيال النبي (ص) ، وختمنا الحلقة بتلك المحاولة ..

في الحلقة الرابعة اليوم سنتحدث عن أهم محاولات الاغتيال التي تعرض لها النبي (ص) ، تلك المحاولة التي لم تتل حقاها من الباحثين ، إما إجبارا من السلطة الحاكمة أو رهبة مما قد يتعرض له الباحث ..

المحاولة الثالثة عشر لاغتيال النبي (ص)

تشبه المحاولة الثالثة عشرة المحاولتين السابقتين من حيث أن المشتركين فيها كانوا من المسلمين ، لكنها تختلف عنهما في طبيعة جنودها ..

سنعود قليلا إلى الوراثة شهرين ونصف من وفاة النبي (ص) لنعرف الأسباب التي أدت إلى وفاة النبي ، فما جرى من أحداث خلال تلك الفترة ربما يساعدنا لمعرفة أسباب الوفاة ..

كان لحديث المنزلة الذي قاله النبي (ص) لعلي بن أبي طالب أمام كبار أصحاب الرسول عندما لحق به بالجرف (على مشارف المدينة) في رجب من عام 9 هـ تأثيرا كبيرا ، وربما كان السبب الرئيسي في محاولة الاغتيال السابقة ، هذا ما تذكره بعض المصادر السننية وتؤكد المصادر الشيعية ، وقد ذكرنا بالحلقة الماضية ما يكفي من المصادر لترجيح تلك النتيجة ..

ما جرى في غدير خم حيث حديث الولاية يعد أكبر كثيرا من حديث المنزلة الذي جرى بالجرف ، ونذكر ذلك في النقاط التالية :

- 1- كان حديث الولاية بغدير خم كانت تكليفا رسميا بنص واضح ، بينما حديث المنزلة في الجرف فرضه بكاء على ..
- 2- خصص النبي (ص) في غدير خم وقتا طويلا لمبايعة المسلمين لعلي ، بينما قال النبي (ص) حديث ..
- 3- شهود العيان بغدير خم كانوا مائة ألف على الأقل ، بينما بالجرف كانوا من شهد فقط حديث المنزلة ..
- 4- أخبر النبي المسلمين في غدير خم أن أجله قادم عن قريب ، ولم يفعل ذلك في الجرف في حديث المنزلة ..

قبل ما يقرب من أسبوعين من وفاة النبي (ص) أمر النبي بإخراج جيش أسامة بن زيد لملاقاة الروم ، وأمر جميع أصحابه بالانضمام إلى الجيش ، كما ذكرنا أن أبا بكر وعمر قد مارسا على أسامة ضغوطا كي يبقى الجيش بالجرف ..

قال ابن حجر العسقلاني- توفي في عام 852 هـ - في فتح الباري (ج 8 ص 116) أن عدد الطلقاء في جيش أسامة كانوا سبع مائة ، ثم ترك كثير منهم معسكر الجرف في يوم الأحد (اليوم السابق على الوفاة) وعادوا إلى المدينة ..

أما الطبري - توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 3 ص 107) ، والواقدي - توفي في عام 207 هـ - في المغازي النبوية فقد قدرا عدد جيش أسامة بثلاثة آلاف من المهاجرين والأنصار والطلاق ..

مرض الموت يفرض على الرسول التجهيز للانتقال السلمي للسلطة قبل أسبوع من وفاته :

من الثابت أن النبي كان يعلم باقتراب أجله ، ففي خطبة الغدير ألمح بذلك في الحديث الذي أورده مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده " إني أوشك أن أدعى فأجيب " ، كما أنه أعطى المسلمين في الغدير الإرشاد الأعظم " وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي " ، وأوصاهم بما يشبه وصية الوداع في حديث مسلم حين قال ثلاثا " أذكركم الله في أهل بيتي " ..

بدأت علامات المرض تظهر على النبي قبل عشرة أيام تقريبا من وفاته ، فأمر بتجهيز جيش لملاقاة الروم المعسكرين شمال جزيرة العرب ، وضع النبي على رأس الجيش شابا عمره 18 عاما وهو أسامة بن زيد ، كما أمر جميع الصحابة بالانضمام إلى جيش أسامة ، لكنه أبقى على علي بن أبي طالب وحده بالمدينة ، تلقى أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب - الملتحقين بالجيش - خبر تعيين أسامة بالقيادة بشيء من الغضب ، لكن المؤكد أن إبقاء علي بالمدينة دون بقية الصحابة قد أعطى شعورا لهما بقرب تولى علي لإمارة المسلمين ، خاصة وأن يوم الغدير وخطبته المشهورة كان منذ أقل من ثلاثة أشهر فقط ، وقد ذكرنا في مقدمة الفصل ما قاله عمر لعلي حينها ..

في يوم الاثنين السابق للثلاثين الذي توفي فيه يأمر النبي الجيش (ص) بالخروج من المدينة والتحرك بسرعة نحو الروم ، هنا تبرز خطوتان إستراتيجيتان فعلهما النبي :

- 1- كان وضع أسامة بن زيد في هذا العمر المبكر على قيادة الجيش عبارة عن رسالة واضحة لكبار الصحابة ، مفادها أن مسألة العمر في القيادة لا تحل مكانا في عقل النبي ، وربما كان يخص النبي بقراره هذا أبا بكر وعمر تحديدا ..
- 2- كان إبقاء علي وحده بالمدينة ، رغم أنه أكبر مقاتلي العرب (النص النبوي قال أنه فارس العرب) بغرض تحقيق الانتقال السلمي للولاية دون منغصات ممن ينتظرون الفرصة لاقتناصها ، وفي مقدمتهم كان أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب ..

أمر أبو بكر وعمر الجيش بالتوقف على مشارف المدينة وعدم مغادرتها ، كانا في حالة تنذر من إخراجهما كجنود في الجيش ، وكانا في حالة تنذر أكثر من تواجد علي بن أبي طالب وحده بالمدينة ، ولا بد أن الرسالة قد وصلت بكامل وضوحها إليهما من خلال هاتين الخطوتين السابقتين ذكرهما ..

من الطبيعي بعد أن تسببا في توقف الجيش أن يتابعا الأخبار في غرفة النبي (ص) من خلال ابنتيهما عائشة وحفصة ، هما لا يريدان ترك المدينة وحدها - حيث مركز الإمارة - لعلي بن أبي طالب ، وقد كانت العلاقة بينهما " سمنا على عسل " كما نقول في العامية المصرية ، وذلك بغرض إيجاد توازن للعلاقة التي تربط النبي (ص) بعلي ..

يشد المرض على النبي في يوم الأربعاء فيستأذن نساءه في الانتقال إلى بيت أم المؤمنين عائشة الملاصق للمسجد النبوي ، يدخل النبي بيت عائشة محمولا على كتفي عمه العباس وعلي بن أبي طالب ، يحضر بعد لحظات أبو بكر وعمر ، وهو ما يدل على متابعتها لما جرى داخل البيت النبوي من خلال ابنتيهما عائشة وحفصة ..

يغضب النبي (ص) لحضورهما ويدرك أن الجيش لم يخرج من المدينة فيطالبهما بالعودة فورا ويوصيهما بالسرعة عند التحرك حتى يحقق الجيش المفاجأة عند ملاقاته الروم ..

يأتي صباح الخميس 8 ربيع الأول عام 11 هـ (4 يونيو 632 م) فيذهب أبو بكر عمر إلى بيت النبي ، وتحدث حادثة " خميس الرزية " كما سماها عبد الله بن عباس ، والتي كانت أول خطوة هامة في تغيير مسار تاريخ المسلمين إلى الانقسام والتشردم ..

رزية الخميس ، وما أدراك ما الرزية !

أدرك النبي (ص) من خلال بقاء أبي بكر وعمر بالمدينة ، ومن خلال دورهما في توقيف الجيش أن الأمور لا بد من توضيحها وتوثيقها بصورة ترضع الأمور في نصابها .. النبي في غرفة مرضه يأمر بكتف ودواة (أي ورقة وقلم بالمعنى الحديث للجملة) لكتابة وصيته ويعد الحاضرين بالقول " حتى لا تضلوا بعدى أبدا " ..

يدرك عمر ما يود النبي كتابته وهو ما كان السبب في إخراجهما وتولية أسامة بقيادة الجيش والإبقاء على علي ابن أبي طالب بالمدينة ،

عمر يرفع صوته ويدعو الحاضرين إلى عدم تنفيذ الأمر النبوي ، ثم يقول كلمته الكارثية : " إنه يهجر " ، وهى تعنى " إنه يخرّف " بالمعنى العامي المصري ، ويردّدها بكلمة أكثر خطورة بأن المسلمين ليسوا في حاجة إلى وصية نبوية ، فيقول " حسبنا كتاب الله " ، هنا يأمر النبي (ص) كل الحاضرين بالخروج من غرفته ويقول " لا ينبغي عندي التنازع " ..

يقول ابن سعد - توفي في 230 هـ - بالطبقات الكبرى (2 / 244) أن زوجات النبي (ص) كن يراقبن ما يجرى من وراء ستار فقال أم المؤمنين زينب ما يلي:

" ألا تسمعون النبي يعهد إليكم ؟ فلغطوا ، فقال: قوموا! فلما قبض النبي مكانه " ..

يضيف ابن سعد ما يؤكد على أن الرسول (ص) غضب أشد الغضب من كلمة عمر بن الخطاب " إنه يهجر " ، فيقول في نفس المصدر السابق (2 / 242) أن عبد الله بن عباس الذي كان حاضر قال ما يلي :

" قال بعض من كان عنده : إن نبي الله ليهجر ، قال : فقيل له : ألا نأتيك بما طلبت ، قال: أو بعد ماذا ! " ..

ولأهمية تلك الكارثة الكبرى ، فإننا نورد هنا في أكثر من حديث فيما يلي :

* **ذكر البخاري** - توفي في 256 هـ - في صحيحه (باب كتابة العلم رقم الحديث 111) عن ابن عباس أنه قال:

" لما اشتد بالنبي وجعه قال : " انتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده " ، قال عمر : " إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا " ، فاختلفوا وكثر اللغط ، قال النبي : " قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع " ، فخرج ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه " ..

* **ويذكر البخاري** أيضا (كتاب الجزية رقم الحديث 2932) عن ابن عباس رواية أكثر شرحا ، كما يلي :

" يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى بلّ دمه الحصى ، قلت يا ابن عباس ما يوم الخميس ، قال اشتد برسول الله وجعه ، فقال انتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا فنتازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا ما له ، أهجر ؟! استفهموه ! فقال : ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه ، فأمرهم بثلاث قال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، والثالثة خير إما أن سكت عنها وإما أن قالها فنسيتها ، قال سفيان: هذا من قول سليمان " ..

* **قال مسلم** - توفي في عام 261 هـ - في صحيحه (كتاب الوصية رقم الحديث 3089 -) ما يلي :

" قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى بلّ دمه الحصى ، فقلت يا ابن عباس وما يوم الخميس ، قال اشتد برسول الله وجعه ، فقال انتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي ، فنتازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع ، وقالوا ما شأنه أهجر ، استفهموه ، قال دعوني فالذي أنا فيه خير ، أوصيكم بثلاث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، قال وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها " ..

* **ذكر أحمد** - توفي في 241 هـ - في مسنده (مسند بني هاشم - رقم الحديث 1834) عن ابن عباس ما يلي :

" يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى بلّ دمه ، وقال مرة دموعه الحصى ، قلنا يا أبا العباس : وما يوم الخميس قال : اشتد برسول الله وجعه فقال : انتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا ، فنتازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا ما شأنه ، أهجر ؟ ، قال سفيان يعني هذى استفهموه ، فذهبوا يعيدون عليه ، فقال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه ، وأمر بثلاث وقال سفيان مرة ، أوصى بثلاث قال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، وسكت سعيد عن الثالثة فلا أدري أسكت عنها عمدا وقال مرة أو نسيها وقال سفيان مرة وإما أن يكون تركها أو نسيها " ..

النبي (ص) يلعن من يتخلف عن جيش أسامة :

ذكر ابن أبي حديد - توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 6 ص 52) ما يؤكد أن النبي (ص) قد لعن المتخلفين عن جيش أسامة ، فينقل عن عبد الله بن عبد الرحمن ما يلي :

" فتناقل أسامة وتناقل الجيش بتناقله ، وجعل رسول الله (ص) في مرضه يثقل ويخف ، ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث ، حتى قال له أسامة : بأبي أنت وأمي ! أتأذن لي أن أمكث أياما حتى يشفيك الله تعالى ! فقال : أخرج وسر على بركة الله ، فقال : يا رسول الله ، إن أنا خرجت وأنت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك ، فقال : سر على النصر والعافية ، فقال : يا رسول الله إنني أكره أن أسأل عنك الركبان ، فقال : أنفذ لما أمرتك به ، ثم أغمى على رسول الله (ص) ، وقام أسامة فتجهز للخروج ، فلما أفاق رسول الله

(ص) سأل عن أسامة والبعث ، فأخبر أنهم يتجهزون ، فجعل يقول : أنفذوا بعث أسامة ، لعن الله من تخلف عنه وكرر ذلك ، فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتى إذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين ، ومن الأنصار أسيد بن حضير وبشير بن سعد وغيرهم من الوجوه ، فجاء رسول أم أيمن يقول له : ادخل فإن رسول الله يموت ، فقام من فورهِ ، فدخل المدينة واللواء معه ، فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله ، ورسول الله قد مات في تلك الساعة " ..

(ملاحظة : نحن هنا لا نلوم أو ننتقد تصرف الطلاق على تركهم معسكر الجرف يوم الأحد ، فعمر وأبو بكر ومن معهما تركا المعسكر قبل الطلاق في يوم الأربعاء الذي قبله ، وتواجد عمر في اليوم التالي - يوم رزية الخميس - في غرفة المرض التي بها النبي (ص) وسب النبي (ص) وجها لوجه ووصفه بالخرف ودعي المتواجدين على مخالفة أمره بكتابة وصيته لما شعر أن فيها تولية علي على المسلمين) ..

ذكر البخارى في صحيحه (ج 7 ص 17) ، ومسلم في صحيحه (ج 7 ص 24) عن عبد الله ابن عباس عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت ما يلي :

" لددناه في مرضه ، فجعل يشير إلينا أن لا تلدونى ، فقلنا كراهية المريض للدواء ، فلما أفاق قال : " ألم أنهكم أن تلدونى؟! " ، لا يبقى أحد في البيت إلا لد ، وأنا أنظر ، إلا العباس فإنه لم يشهدكم " ..

ويضيف البخارى في نفس المصدر (ج 8 ص 40 / 42) عن ابن عباس أنه قال ما يلي :
" وفيه أنه أحس باللد ، فنهاهم ، ولكنهم لم يمتنعوا فعاقبهم ، قالت عائشة : لددنا رسول الله في مرضه ، وجعل يشير إلينا لا تلدونى ، قال : فقلنا : كراهية المريض للدواء ، فلما أفاق قال : ألم أنهكم أن تلدونى؟! " ..

يقول الطبري - توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 2 ص 438) أن النبي (ص) حين أفاق من الإغماء وعرف أنهم أعطوه داءً قال ما يلي :
" لا يبقى أحد منكم إلا لد غير العباس فإنه لم يشهدكم " ..

يقول الحاكم - توفي في 405 هـ - في المستدرک (ج 4 ص 202) عن عبد الله بن عباس أن النبي (ص) أنه قال ما يلي :
" والذي نفسي بيده لا يبقى في البيت أحد إلا لد إلا عمى ، قال : فرأيتهم يلدونهم رجلا رجلا ، قالت عائشة رضي الله عنها : ومن في البيت يومئذ فيذكر فضلهم ، فلد الرجال أجمعون ، وبلغ اللدود أزواج النبي فلدن امرأة امرأة ! " ..
قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ..

قال يحيى بن شرف النووي - توفي في 676 هـ - في شرح صحيح مسلم (ج 14 ص 198) عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت ما يلي :
" لددنا رسول الله في مرضه ، فأشار أن لا تلدونى " ..

قال ابن القيم الجوزى - توفي في عام 751 هـ - في الطب النبوي (ج 1 ص 66) ما يلي :
" كان الرسول قد أمر من في الدار بأن لا يلدوه ولا يجرعوه أي دواء مهما كان ، إذ روي أنه قال لهم بعد سقيه إياهم ذلك الدواء المزعم: ألم أنهكم أن لا تلدونى... فلدوه وهو مغمور (أي في حالة إغماء) " ..

قال الحاكم في المستدرک (ج 3 ص 60) عن الشعبي أنه قال ما يلي :
" والله لقد سم رسول الله (ص) ، وسم أبو بكر الصديق ، وقتل عمر بن الخطاب صبيرا ، وقتل عثمان بن عفان صبيرا ، وقتل علي بن أبي طالب صبيرا ، وسم الحسن بن علي ، وقتل الحسين " ..

قال ابن كثير - توفي في عام 774 هـ - في السيرة النبوية (ج 4 ص 449) ما يلي :
" عن الأعمش عن عبد الله بن نمرة عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود إذ قال : لئن أحلف تسعا أن رسول الله قتل قتلا أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل ، وذلك لأن الله اتخذ نبيا واتخذ شهيدا " ..

ذكر ابن كثير في السيرة النبوية (ج 4 ص 446) بأن أم المؤمنين عائشة اتهمت العباس عم الرسول بأنه هو من قام بإعطائه الدواء ،

وهذا لا يتناسب مع أحاديث القوم المروية في كتبهم ، لعدة أسباب كما يلي :

- 1- العباس لم يكن متواجدا عند إعطاء النبي للدواء ..
- 2- النبي (ص) كان يعلم بغدرهن ، ولهذا حذرهن بعدم إعطائه ما يدخل الفم لو دخل في غيبوبة ..
- 3- عندما علم النبي (ص) بعد أن أفاق من الغيبوبة بما فعلوه أمر الجميع بشرب نفس الدواء إلا العباس ..
- 4- ذكرت أم المؤمنين عائشة في رواية أن النبي (ص) قد مات من آثار السم الذي تناولته في خيبر ، وهذه حجة تنفيها الطبيعة لأن خيبر كانت في بداية عام 7 هـ ، والرواية بمثابة دفع التهمة بأسلوب يثبتها وليس العكس ..

توقيت السم :

سنحاول في هذه الفقرة ومن خلال النصوص المتوافرة في كتب أهل السنة أن نحدد الفترة التي تناول فيه رسول الله (ص) السم ، فربما نتمكن من تحديد المشاركين في هذه المؤامرة :

يقول الواقدي – توفي في عام 207 هـ في المغازي النبوية (ج 1 ص 126) عن التبعثة لجيش أسامة ما يلي :
" إن رسول الله (ص) قد أمر بالحملة إلى الشام بقيادة أسامة بن زيد في تاريخ ثلاث بقين من صفر (أي يوم الاثنين 28 صفر) ، وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول " ..

ذكر ابن سعد – توفي في عام 230 هـ - في الطبقات الكبرى (ج 2 ص 249) ما يلي :
" إن سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أهل أنبي (منطقة بفلسطين) ناحية البلقاء ، وقال : فلما كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله المرض فحم وصدع ، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ، ثم قال : اغز بسم الله ، في سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، فخرج وعسكر بالجرف ، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة ، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيره ، فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين. فغضب رسول الله غضبا شديدا ، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في إمارة أسامة ، ولئن طعنتم في إمارة أسامة ، لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله ، وأيم الله إنه كان للإمارة لخليق ، وإن ابنه من بعده لخليقا للإمارة " ..

يضيف ابن سعد في نفس المصدر (ج 2 ص 236) شهادة إحدى الحاضرات في بيت النبي (ص) تصف فيها درجة الحمى التي كان عليها ، فتقول ما يلي :
" كانت أم البشر بن البراء قد قالت للرسول : ما وجدت مثل هذه الحمى التي عليك على أحد " ..

ويقول ابن سعد في نفس المصدر (ج 2 ص 208) أن أبا سعيد الخدري لما دخل على النبي (ص) وعليه قطيفة وضع يده عليه فوجد حرارتها فوق القطيفة ، فقال : ما أشد حماك ؟

ويعنى ما سبق ذكره من مصادر أن العصيان الذي أحدثه كبار أصحاب رسول الله في إجبار أسامة بعدم التحرك والبقاء في الجرف قد استمر لأسبوعين وكان مخططا له بدقة لوقت معلوم ..

مؤامرة صحيفة الكعبة تفسر ما حدث في محاولة الاغتيال الأخيرة !

روى سُلَيْم بن قيس في كتابه المعروف " السقيفة " قصة ذكرها الإمام علي عندما هاجموا بيته تلقى الضوء بوضوح على المحاولة الأخيرة التي تعرض لها النبي (ص) ، فالرواية تكشف ما كان مخبئا في صدور الحزب القرشي في حياة النبي ، وما كنوا ينوون عمله في حالة موته ، لنرى الرواية في الكتاب المذكور ص 147 :

" وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرفقهما وأدهما وأبعدهما غورا ، والآخر أظفهما وأغلظهما وأجفاهما ، فقال أبو بكر: من نرسل إليه ؟ فقال عمر: نرسل إليه قنقذاً ، وهو رجل فظ غليظ جاف من الطلقاء أحد بني عدي بن كعب ! فأرسله إليه وأرسل معه أعواناً وانطلق فاستأذن علي فأتى فأتى لهم ! فرجع أصحاب قنقذ إلى أبي بكر وعمر وهما جالسان في المسجد والناس حولهما ، فقالوا : لم يؤذن لنا. فقال عمر: إذهبوا ، فإن أذن لكم وإلا فادخلوا عليه بغير إذن ! فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمة عليها السلام : أحرّج عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذن ! فرجعوا وثبت قنقذ فقالوا: إن فاطمة قالت كذا وكذا فترجنا أن ندخل بيتها بغير إذن ! فغضب عمر وقال:

ما لنا وللنساء ! ثم أمر أناساً حوله أن يحملوا الحطب فحملوا الحطب وحمل معهم عمر ، فجعلوه حول منزل علي وفاطمة وابنيهما ! ثم نادي عمر حتى أسمع علياً وفاطمة: والله لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله وإلا أضرمت عليك بيتك النار ! فقالت فاطمة: يا عمر ، ما لنا ولك ؟ فقال : إفتحى الباب وإلا أحرقتنا عليكم بيبتكم ! فقالت: يا عمر أما تتقي الله تدخل علي بيتي ! فأبى أن ينصرف ، ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب ، ثم دفعه فدخل فاستقبلته فاطمة وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله ! فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت: يا أبتاه ! فرفع السوط فضرب به ذراعها فنادت: يا رسول الله ، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر ! فوثب علي فأخذ بتلابيبه ثم نتره فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله ، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أوصاه به ، فقال: والذي كرم محمد بالنبوة يا بن صهاك لولا كتاب من الله سبق وعهد عهد إلي رسول الله لعلمت إنك لا تدخل بيتي ، فأرسل عمر يستغيث ، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار وثار علي إلى سيفه ، فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوف أن يخرج علي إليه بسيفه ، لما قد عرف من بأسه وشدته ، فقال أبو بكر لقفذ : إرجع فإن خرج وإلا فاقحم عليه بيته فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم النار ! فانطلق قنفذ فاقحم هو وأصحابه بغير إذن ، وثار علي إلى سيفه فسبقوه إليه وكاثروه وهم كثيرون ، فتناول بعضهم سيوفهم فكاثروه وضبطوه ، فألقوا في عنقه حبلاً وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت فضربها قنفذ بالسوط ! فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدمج من ضربته ، ثم انطلقوا بعلي يُعتل عتلاً حتى انتهى به إلى أبي بكر ، وعمر قائم بالسيف على رأسه ، وخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل والمغيرة بن شعبة وأسيد بن حضير وبشير بن سعيد وسائر الناس ، جالسوسٌ حـول أبي بكر عليه السلام السـلاح !

قال قلت لسلمان: أدخلوا على فاطمة بغير إذن ؟ قال: إي والله ، وما عليها من خمار فنادت: وا أبتاه ، وارسول الله ، يا أبتاه فلبئس ما خلفك أبو بكر وعمر... قال فانتهوا بعلي إلى أبي بكر وهو يقول: أما والله لو وقع سيفي في يدي لعلمت أنكم لن تصلوا إلي هذا أبداً . أما والله ما ألوم نفسي في جهادكم ، ولو كنت استمكنت من الأربعين رجلاً لفرقت جماعتكم ، ولكن لعن الله أقواماً بايعوني ثم خذلوني .. ولما أن بصر به أبو بكر صاح : خلوا سبيله ! فقال علي : يا أبا بكر ما أسرع ما توثبت على رسول الله ! بأي حق وبأي منزلة دعوت الناس إلي بيعتك؟ ألم تبـايـعني بـالأمس بأمر الله وأمر رسول الله؟! وقد كان قنفذ لعنه الله ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط حين حالت بينه وبين زوجها ، وأرسل إليه عمر: إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها ، فأجأها قنفذ لعنه الله إلى عضادة باب بيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جينياً من بطنها ! فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلى الله عليه من ذلك شـهيدة..

قال : ولما انتهى بعلي إلى أبي بكر انتهره عمر وقال له: بايع ودع عنك هذه الأباطيل ، فقال له: فإن لم أفعل فما أنتم صانعون؟ قالوا: نقتلك ذلاً وصغاراً ! فقال: إذا تقتلون عبد الله وأخ رسوله ، فقال أبو بكر: أما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسول الله فما نقر بهذا ! قال: أتجدون أن رسول الله أخى بيني وبينه؟! قال: نعم! فأعاد ذلك عليهم ثلاث مرات ن ثم أقبل عليهم علي عليه السلام فقال : يا معشر المسلمين والمهاجرين والأنصار ، أنشدكم الله أسمعت رسول الله يقول يوم غدیر خم كذا وكذا ، وفي غزوة تبوك كذا وكذا ؟ فلم يدع شيئاً قاله فيه رسول الله علانية للامة إلا ذكرهم إياه ، قالوا : اللهم نعم ! فلما تخوف أبو بكر أن ينصره الناس وأن يمنعه ، بادرهم فقال له: كل ما قلت حق قد سمعناه بأذاننا وعرفناه ووعته قلوبنا ، ولكن قد سمعت رسول الله يقول بعد هذا: إنا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا ، وإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة !

فقال علي : هل أحد ممن أصحاح رسول الله شهد هذا معك ؟
فقال عمر : صدق خليفة رسول الله ، قد سمعته منه كما قال وقال أبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل: صدق ، قد سمعنا ذلك من رسول الله !
فقال لهم علي: لقد وفيت بصحيفتكم الملعونة التي تعاقدت عليها في الكعبة: إن قتل الله محمداً أو مات لتزور هذا الأمر عنا أهل البيت ! فقال أبو بكر : فما علمك بذلك ؟ ما أطلعناك عليها ؟ فقال: أنت يا زبير ، وأنت يا سلمان ، وأنت يا أبا ذر ، وأنت يا مقداد ، أسألكم بالله وبالإسلام أما سمعت رسول الله يقول ذلك وأنتم تسمعون: إن فلاناً وفلاناً حتى عد هؤلاء الخمسة قد كتبوا بينهم كتاباً وتعاهدوا فيه وتعاقبوا أيماناً على ما صـنعوا إن قتلوا أو ماتت ؟!

فقالوا : اللهم نعم ، قد سمعنا رسول الله يقول ذلك لك : إنهم قد تعاهدوا وتعاقبوا على ما صنعوا ، وكتبوا بينهم كتاباً إن قتلنا أو مات أن يتظاهروا عليك وأن يزوروا عنك هذا يا علي ، قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فما تأمرني إذا كان ذلك أن أفعل؟ فقال لك: إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدوهم وناذبهم ، وإن أنت لم تجد أعواناً فبايع واحقن دمك ، فقال علي: أما والله لو أن أولئك الأربعين رجلاً الذين بايعوني وفوا لي لجاهدتم في الله ، ولكن أما والله لا ينالها أحد من عقبكم إلى يوم القيامة ، وفيما يكذب قولكم على رسول الله قوله تعالى: **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ، فَالكتاب النبوة ، والحكمة السنة ، والملك الخلافة ، ونحن آل إبراهيم**

فقام المقداد فقال: يا عليّ بَمَ تأمرني؟ والله إن أمرتني لأضربن بسيفي وإن أمرتني كفتُ . فقال عليّ: كفَّ يا مقداد واذكر عهد رسول الله وما أوصاك به ، فقلت: وقلت: والذي نفسي بيده ، لو أني أعلم أني أدفع ضيماً وأعز الله ديناً لوضعت سيفي على عنقي ثم ضربت به قدماً قدماً ! أتنبون على أخي رسول الله ووصيه وخليفته في أمته وأبي ولده ! فأبشروا بالبلاء واقنطوا من الرخاء! وقام أبو ذر فقال: أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها المخذولة بعصيانها ، إن الله يقول: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، وآل محمد الأَخلاف من نوح وآل إبراهيم من إسماعيل ، وآل محمد أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ، وهم كالسما المرفوعة والجبال المنصوبة والكعبة المستورة والعين الصافية والنجوم الهادية والشجرة المباركة ، أضاء نورها وبورك زيتها ، محمد خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم ، وعلي وصي الأوصياء وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وهو الصديق الأكبر والفاوق الأعظم ، ووصي محمد ووارث علمه ، وأولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ، كما قال الله: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فقدموا من قدم الله وأخروا من أخر الله واجعلوا الولاية والوراثة لمن جعل الله " ..

(أربع ملاحظات : الملاحظة الأولى : سلّم بن قيس – راوي الواقعة - هو من الجيل الأول من التابعين ، وكتابه " السقيفة " هو أول كتاب في عصر ما قبل التكوين ، فقد ولد في عام 2 هـ ، واشترك مع الإمام علي (ع) في كل حروبه (الجمل وصفين ونهروان) ، وسجن في واقعة الطف في زمن يزيد ، وهرب من الحجاج إلى بلاد فارس ومات بها في عام 76 هـ ..

الملاحظة الثانية : لا يدعى أحد بأننا نقل مسائل مفصلة من كتب الشيعة ، فسُلّم بن قيس ليس شيعياً ، وأحد كبار الشيعة - الشيخ المفيد في تصحيح اعتقادات الإمامية ص 149 - بهاجمه ويقول عنه وعن كتابه ما يلي : " يجب للمتدين أن يجتنب العمل بكل ما فيه ، ولا يجوز العمل على أكثره ، ولا يعول على جملة ، وليفرع إلى العلماء ليقفوه على الصحيح منها والفاقد " .. ليس معنى هذا أن كل كتابه محرف ، ولكن روايته في هذه الفقرة تفصح نوايا القوم الذي كانوا على جمرة كي يقفوا إلى السلطة ، وربما تفسر كلام عبد الله بن مسعود بأنه لا يشك في موت النبي (ص) مقتولا ..

الملاحظة الثالثة : اشترك الخمسة المذكورون في مؤامرة صحيفة الكعبة معا أيضاً في الهجوم على بيت الزهراء فاطمة (ع)

الملاحظة الرابعة : عجا لقوم يصلون على آل محمد في صلاتهم ، ويرفعون من شأن مكابديهم ومقاتليهم في حياتهم العامة ، والأكثر عجا أن يتكرر هذا التناقض عشرات المرات في كل يوم من أيام حياتهم !) ..

قال البخاري في صحيحه (ج 9 ص 126) ، ومسلم في صحيحه (ج 4 ص 2054) ، وأحمد في مسنده (ج 1 ص 198) - ، وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (ج 11 ص 369) ، والحاكم في المستدرک (ج 1 ص 37) براويات متشابهة عن عبد الله بن عباس وأبي سعيد الخدري وسهل بن سعد وأبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال ما يلي :

" لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب ، لاتبعتموهم ، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: "فمن " ..

قال البخاري في تاريخه (ج 8 ص 333) ، وأحمد في مسنده (ج 5 ص 251) ، والطبراني في المعجم الكبير (حديث رقم 7486) ، وابن حبان في صحيحه (ج 8 ص 253) ، والحاكم في المستدرک (ج 24 ص 92) عن أبي أمامة الباهلي عن النبي (ص) أنه قال ما يلي :

" لتتقضن عرى الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، وأولهن نقضاً الحكم ، وآخرهن الصلاة " ..

قال أبو نعيم – توفي في عام 430 هـ في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ج 5 ص 119) ، والسيوطي – توفي في عام 911 هـ - في الدر المنثور (ج 3 ص 55) بسنده عن أبي عبيد بن الجراح عن عمر بن الخطاب أنه قال ما يلي :

" أخذ رسول الله بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أتاني جبريل أنفاً فقال لي: إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقلت: أجل إنا لله وإنا إليه راجعون ، فمَمَّ ذاك يا جبريل؟ فقال: إن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من دهر غير كثير ! فقلت فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ فقال: كلُّ سيكون ! فقلت: ومن أين وأنا تارك فيهم كتاب الله ؟ قال: فيكتاب الله يفتنون وذلك من قبل أمرائهم وقرائهم ، يمنع الناس الأمراء الحقوق فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها فيفتنون ويفتنون ، ويتبع القراء أهواء الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ! فقلت كيف يسلم من سلم منهم؟ قال بالكف والصبر ، إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعه تركوه " ..

في الحلقة القادمة - إن شاء الله - سواصل الحديث ، فإلى لقاء ..

رائف محمد الويشي
سانت لويس – ميزوري – أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com